الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

عنوان المذكرة:

استراتيجيات الحجاج في خطب صدر الإسلام

–دراسة لنماذج مختارة–

بحث مقدم لقسم اللغة و الأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر 2

إعداد الطالبة:

صبرينة شارف

إشراف الأستاذ:

كمال طاهير

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
جمعة مصاص	أستاذ محاضر ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيسا
كمال طاهير	أستاذ محاضر -أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مشرفا ومقررا
وليد جدي	أستاذ مساعد –أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2018–2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه وحمدا كثيرا مباركا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الشكر لله على ما وهبنا من صبر وتوفيق تخطينا به الصعاب لإنجاز هذا البحث، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد آخر الأنبياء و الرسل و على آل محمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور " كمال طاهير" على إرشاداته القيمة و توجيهاته الهادفة وصبره وأخلاقه، وعرفانا وتقديرا بفضله بالإشراف على هذا البحث.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساندنا في إنجاز هذا العمل سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

مقدمة

تعد التداولية محورا هاما في الدرس النقدي واللساني والمهتمة أساسا بدراسة ومعالجة ما يسمى بلسانيات الاستعمال، وتبيان الدور المهم الذي يلعبه السياق في تأويل الخطاب وفهمه. وتضمنت التداولية عدة نظريات لغوية من بينها نظرية الحجاج التي تدرس الخطاب دراسة حجاجية وذلك بتوخي مقاصد عديدة في سبيل التأثير والتوجيه والإقناع. فالحجاج آلية لغوية تتبني من مقتضيات السياق المحيط من خلال توظيف اللغة بوصفها أداة للتواصل، ولما كان الحجاج سمة أي خطاب مهما اختلف نوعه اخترنا أن تكون الخطابة الإسلامية أنموذجا لدراستنا فهي من أكثر الفنون النثرية الأدبية ارتباطا بالحجاج، وعليه جاءت دراستنا موسومة ب:"**استراتيجيات الحجاج في خطب صدر الإسلام "–دراسة لنماذج مختارة–**"

وارتباطنا بهذا الموضوع كان مدفوعا بأسباب ذاتية وأخرى موضوعية فالأولى تتمثل في الميل إلى النصوص النثرية العربية القديمة نظرا لما تحويه من أدوات إقناعية وبخاصة فن الخطابة الذي عرف تطورا ملحوظا في هذا العصر، وأيضا الرغبة في مقاربة النص العربي القديم وقراءته باستراتيجيات جديدة ودراسة التقنيات الاستدلالية المختلفة التي يمكن أن يتوفر عليها النص الخطابي القديم.

وأما الأسباب الموضوعية فتتمثل في محاولة إبراز الدور الذي تلعبه الوسائل الإقناعية اللغوية والبلاغية في دعم الخطاب الإسلامي والوصول للنتيجة التي يحاول المرسل إيصالها، لأن الخطابة في هذا العصر جاءت كرد فعل على الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك وبالتالي الكشف عن الطرائق والأساليب المتبعة في خطب صدر الإسلام

ولتحقيق ذلك نطرح الإشكالية التالية: فيما تكمن أهم الاستراتيجيات الحجاجية الغالبة على خطب هذا العصر؟

وهذه الإشكالية تتفرع عنها جملة من التساؤلات أبرزها:

*هل يوجد اختلاف في تقنيات الحجاج الموظفة في خطب صدر الإسلام سواء السياسية أو الدينية ؟

*كيف رتب الخطيب حججه للوصول إلى اقناع الآخر ؟

*ما وظيفة الوسائل البلاغية واللغوية ؟ وكيف عملت على دعم الخطاب ؟

*وهل فعلا تمكن الخطيب من خلال اعتماده على مختلف هذه الوسائل في إيصال فكرته وتغيير رأي الآخر وبالتالي التأثير فيه ؟

وللإجابة عن إشكالية الدراسة جاء الهيكل التنظيمي للبحث كالتالي:"**مقدمة، فصل نظري وآخر تطبيقي، ملحق وخاتمة**"

الفصل الأول بعنوان : "**الحجاج مفاهيم وأصول وتقنيات**"

عالجنا فيه جانبين: الجانب التداولي باعتبار أن التداولية المحور الأساس الذي تتفرع عنه نظرية الحجاج جاء فيه (تعريف التداولية، وأهم المصطلحات التي جاءت بها وعلاقة التداولية بالدراسات العربية ، أهم مباحثها) أما الجانب الآخر فيتعلق بنظرية الحجاج جاء فيه (تعريف الحجاج، الحجاج بين الجدل والخطابة، الحجاج في الجذور العربية والغربية، وأهم أسس هذه النظرية)

الفصل الثاني تطبيقي بعنوان: "**استراتيجيات الحجاج في نماذج من خطب صدر الإسلام**" حاولنا فيه إبراز مختلف الوسائل والاستراتيجيات الإقناعية المعتمدة في الخطب المختارة المتراوحة بين خطب دينية وسياسية وتبيان الدور الحجاجي الذي لعبته في سبيل دعم العملية الحجاجية .

وأخيرا قفينا هذه الدراسة بخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

وكل دراسة تحتاج إلى منهج وفي بحثنا اعتمدنا على المنهج التداولي في تحليل الخطاب وذلك باستقصاء آلية الحجاج بوصفها الأداة الإجرائية المعتمدة في مقاربة

النص الخطابي و قراءته استعانة بآليات المنهج الوصفي و التاريخي وذلك من خلال وصف الظواهر الحجاجية الكامنة في الخطب المختارة مع تتبعنا للحجاج عبر حقب زمنية تاريخية.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

1- جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام) لأحمد زكي صفوت باعتبارها المدونة المدروسة.

2- الحجاج في التواصل لفليب بروطون.

3- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري .

4- اللغة والحجاج لأبو بكر العزاوي .

5- في اللسانيات التداولية لخليفة بوجادي ...

ولا يخلو أي بحث من الصعوبات والمتاعب فقد واجهتنا مجموعة عراقيل وهذا راجع لتشعب نظرية الحجاج كونها تلتقي و العديد من العلوم اللغوية وهذا ما جعل وظيفة الحجاج تنطوي على قدر من الالتباس لارتباطها باستعمالات اللغة في مجالات عديدة .

ولا يفوتنا في الأخير أن نذكر فضل جامعة **عباس لغرور خنشلة** علينا لنتقدم بشكر أساتذتها في كلية الآداب واللغات، كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير للأستاذ الفاضل المشرف على هذه الدراسة الدكتور " **كمال طاهير** " الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة فلم يكن للبحث أن يكتمل لولا التوفيق من المولى عز وجل وكذا توجيهاته وصبره معنا وتتبع حيثياته من أول وهلة إلى غاية آخر خطوة فيه فجزاه الله عنا كل خير وزاده في العلم درجات.

وختاما يبقى أملنا كبير في أن نكون قد وفقنا في دراستنا لهذا الموضوع، وعسى أن نكون قد مهدنا الطريق إلى فتح آفاق جديدة على البحوث الحجاجية مستقبلا.

الفصل الأول

الحجاج مفاهيم وأصول وتقنيات

تمهيد:

تعتبر التداولية من بين الاتجاهات اللغوية التي كان لها الدور الكبير في تفعيل دور اللغة في عملية التخاطب، من خلال التركيز على فكرة الاستعمال. حيث ازدهرت وتطورت على ساحة الدرس اللساني نظرا لكونها مبحثا غنيا بالنظريات الواصفة للخطاب هذا ما جعلها تتخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث.

1- تعريف التداولية:

1-1-لغة:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول). وله معاني مختلفة فقد جاء في لسان العرب "**لابن منظور**":« تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر...، ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاوزناه فعمل هذا مرة وهذا مرة».[1]

وفي معجم أساس البلاغة "**للزمخشري**" ورد:« دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه...،وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد...، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم...، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما».[2]

نلاحظ بعد التمعن في المفهوم اللغوي للتداولية لدى كل من "**ابن منظور**" و"**الزمخشري**" أنه لا يخرج عن دلالة التحول والتغير والإنتقال من مكان لآخر، أو من حال لآخر، أي عكس الثبات والاستقرار على حال وشاكلة واحدة.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، م11، ط3، 1994، مادة (دول)، ص(252– 253).

[2] – الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1998 ج1، ص303.

1-2- اصطلاحا:

التداولية **La Pragmatique**: تعرف على أنها: «علم يدرس اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب».[1] بمعنى أن التداولية تُعنى بدراسة اللغة والسياقات الخارجية، فهي لا تنظر لها على أنها بنية مجردة إنما تهتم بتبيان علاقة الكلام بالمتكلم أثناء العملية التخاطبية.

كما نجد أيضا التداولية هي: « دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت»[2]، وتعمل التداولية على إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الإستعمال اللغوي»[3]، « كما أنها تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد الكلام».[4]

– يتضح من خلال هذه التعاريف أن التداولية تخصص لساني يهتم بما يتلفظه المتكلم أثناء العملية التخاطبية، وهي عكس اللسانيات التي تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها؛ فهي (أي التداولية) تتعدى حدود البنية اللغوية من خلال محاولة تفسير وفهم المقاصد الكلامية أي مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب للوصول إلى المعنى.

فالتداولية في أبسط مفهوم لها هي دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب.

– ولعل أشمل تعريف للتداولية هو: « دراسة اللغة في الإستعمال، أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا ترتبط بالمتكلم وحده

---

[1] – باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ص159.

[2] – فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية ط1، 2007، ص19.

[3] – مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص15.

[4] – أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص12.

ولا السامع وحده، إنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما».[1]

– وقد تُرجم مصطلح (**pragmatics**) في الإنجليزية، و (**pragmatique**) في الفرنسية إلى عدة مصطلحات، لذلك نجد ترجمات مختلفة لهذا المصطلح منها: البراجماتية اللسانية، أو التداولية اللسانية، التداوليات، علم التخاطب، التخاطبية، السياقية النفعية الفائدية، الفوائدية، الإنتفاعية.... ، وأشهر الترجمات وأكثرها استعمالا مصطلح التداولية ويفضل بعض النقاد وعلى رأسهم "**محمود عكاشة**" مصطلح التداولية اللسانية ليفرق بينها وبين المذهب البراجماتي الفلسفي.[2]

2- التداولية في الفكر العربي القديم:

لو تأملنا تراثنا العربي القديم لوجدنا أن جل مبادئ التداولية كانت حاضرة وموجودة فيه، حيث تلتقي أغلب هذه النظريات الحديثة في الدرس التداولي بما أسس له العرب سواء (نحاة أم بلاغيون أم نقاد...).

– وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا العلم يقول "**سويرتي**": « إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما ورؤية واتجاها أمريكيا و أوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة».[3]

– ونستطيع أن نلمس ذلك الإلتقاء على سبيل المثال لا الحصر في بعض الدراسات اللغوية القديمة فمثلا "**الجاحظ**" يرى أنه: « إذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الإستكراه، ومنزها عن الإختلاس، مصونا عن التكلف

---

[1] – ليلى آل حماد: المقاربة التداولية قضية لغوية، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010، ص(2-3)

[2] – ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص3.

[3] – خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة التأصيل في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة الجزائر، ط1 2001، ص(138- 139).

صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة» [1]؛ إذ يشترط "**الجاحظ**" هنا وضوح المعنى للتمكن من التأثير في السامع خلال ممارسة فعل القول، فإذا كان القول أو اللفظ بليغا بعيدا عن التكلف فإنه يؤثر في السامع وبالتالي يقنعه.

ونجد الفيلسوف "**ابن رشد**" في كتابه **(الكشف عن منهاج الأدلة في عقائد الملة).** يكشف عن العلاقة بين الكلام وصاحبه (المتكلم) وهي علاقة تفاعلية حيث يقول:

« الكلام ليس شيئا أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه، وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل». [2] وهذا ما أشار إليه أصحاب النظرية التداولية في أن نضمن في قولنا أمورا لا نذكرها بصريح العبارة إذ أنها محتواة ضمن السياقات.

– ونجد الناقد" **عبد القاهر الجرجاني**" الذي يبحث عن العلاقة بين المتكلم وخطابه إذ يرى أن المعاني تترتب في نفس المتكلم لتأتي الألفاظ تبع في ذلك ويقوم بتحليل هذا من خلال نظريته المشهورة (نظرية النظم) فيقول في ذلك: « واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أنّ لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضه ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه سببا من تلك، هذا مالا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس». [3] "**فالجرجاني**" من خلال نظرية النظم انتبه إلى مسألة السياق واللفظ والكلمة المفردة بالنسبة له لا معنى لها إلا داخل التركيب.

ومن خلال كل هذا يتضح وبصورة جلية أن للتداولية جذور بارزة في الدراسات اللغوية القديمة سواء (نحوية، نقدية، أو بلاغية...).

[1] – الجاحظ: البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، م1، ط1، 1998، ج1، ص65.

[2] – عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981، ص287.

[3] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه: محمد عبده و رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص49.

3- أهم مباحث الدرس التداولي:

للتداولية قضايا ومباحث عديدة من الصعب حصرها لأن مجالها واسع، فقد عمل روادها على وضع نظريات ومصطلحات خاصة بمنهجهم ومن أهم هذه المباحث (نظرية أفعال الكلام، التلفظ، الإفتراض المسبق، الإستلزام الحواري، الحجاج...).

3-1- نظرية أفعال الكلام (Les actes de langage)

يعتبر "**جون أوستين**"* **(J-L- Austin)** مؤسس التداولية، أن كل قول هو إنجاز عمل ما، ولقد أكد أن الجملة الخبرية **(Affirmation)** على أنها لا تصف ولا تثبت، بل ينجز من خلالها عمل، وتحدث أيضا عن الأقوال التي لا تحتوي على معنى وهي لا تخضع لمعيار الصدق والكذب ومنها الإستفهام والأمر والنهي، وهي من باب التلفظ بالجملة تعني إنجاز فعل. وبعدما كان الفعل عنصرا مهما في تشكيل البنية النحوية والدلالية، فإن الفعل تداوليا يشغل وظيفة مركزية تحدد بنية الجملة...، وهذه الخصيصة تجعل من المتكلمين أفرادا فاعلين، وأطرافا ذوي نشاط لغوي حقيقي».[1]

- وقسم "**أوستين**" الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف:

أ- فعل الكلام: فعل القول (Acte Locutoire): هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المعنى والمرجع، أي: « إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة».[2]

* منطقي نمساوي بريطاني (1952- 1960)، درس الفلسفة في جامعة أكسفورد، ويعرف في الأساس بأنه واضع نظرية أفعال الكلام، من مؤلفاته (كيف نصنع أشياء بالكلمات...).

[1] - جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 15.

[2] - مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، ص41.

ب- الفعل الإنجازي: (قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول) Acte illocutoire

وهو:« فعل اتفاقي مبني على التواطؤ والمواضعة ، إنه فعل مؤدى ومنجز طبقا للتواضع».[1] ويراد به ما يقصده المتكلم أثناء فعل القول، وما يسعى للوصول له.

ج- الفعل التأثري: (لازم فعل الكلام، Acte perlocutoire)

« هو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه. فعندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره ومشاعره ».[2] يحصل حين يستطيع الفعل الإنجازي التأثير في المتلقي وتغير حاله والتأثير فيه.

- وقد حاول "**سيرل**" **(Searle)** وهو تلميذ "**أوستين**" **(Austin)** إقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية:

1- **فعل التلفظ: (Acte d'énonciation)**: أي عملية التلفظ بالكلمات.

2- **الفعل القضوي: (Acte illcutionnaire)**: « دلالة فعل الكلام الذي كان جزءً من فعل القول في تصور" **أوستين**" إلا أنه عند "**سيرل**" يشكل فعلا مستقلا عنه»[3]؛ فهي أعمال متضمنة في القول، كأن ننفي أمرا أو نثبته.

3- **عمل التأثير بالقول: (Acte Perlocutionnaire)** وهو: « الأثر الحاصل نتيجة عمل ما»[4]؛ وهو ذلك الأثر الذي يتركه المتكلم في المتلقي أثناء إنجازه للفعل الكلامي.

---

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص155.

[2] - جورج مولينيه: الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2006م، ص160.

[3] - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأهلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط2 ص80.

[4] - آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم(علم جديد في التواصل) ، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص267.

4- **الفعل الإنجازي:** وهنا لا يختلف "**سيرل**" عن "**أوستين**" والمراد به ما يقصده المتكلم أثناء فعل القول.

3-**2- نظرية التلفظ:** تأسست نظرية التلفظ (**Théorie de l'enonciation**) من قبل « "**إميل بنفيست**" (**Benveniste**)* في عام **1960**، وشغل التلفظ حيزا مهما، إذ تعتبر هذه النظرية وظيفة اللغة فعل فردي للإستعمال، ويؤكد "**بنفيست**" على أنها إنجاز فردي للملفوظ، نستطيع تعريفه بعلاقته مع اللغة»[1]، فالتلفظ ممارسة فردية، فحين يحدث التلفظ يتشكل بذلك الملفوظ وهو نتيجة لفعل التلفظ.

- وتبنى هذه النظرية على دراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تظهر دلالتها إلا من خلال السياق وتحقق ضمن ضمائر الشخص وظروف الزمان والمكان، وسماها "**بنفيست**" الجهاز الصوري للحديث ويقسم الملفوظ إلى:[2]

- الملفوظ المسند إلى المتكلم (**Locuteur**)

- الملفوظ المسند إلى المخاطب (**Allocutaire**)

- الملفوظ المسند إلى الحالة التلفظية (**Situation d'énonciation**)

3-3- الإفتراض المسبق:

عند كل عملية من عمليات التبليغ ينطلق الأطراف المتخاطبون من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة، وهذه الإفتراضات السابقة لا يصرح بها المتكلمون وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية (التبليغية)؛ وهي محتواة في القول سواء تلفظ

* لساني وسميائي فرنسي (1902-1976)، عرف بأعماله المنصبة على اللغات الهندو أوربية، مؤسس نظرية التلفظ...

[1] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب، ليبيا، ط1، 2004 ص84.

[2] - المرجع نفسه ، ص86.

بهذا القول إثباتا أو نفيا، وعلى سبيل المثال نقول: أغلق النافذة (فمن الملفوظ يتبين أن النافذة مفتوحة) وهذا افتراض مسبق يفهم من السياق.[1]

3-4- الإستلزام الحواري:

جاء به الفيلسوف "**غرايس**" **(Grice)**[*]، ويقصد به المعنى الذي يفهم من خلال الحوار، وكون الإستلزام الحواري آلية من آليات إنتاج الخطاب يقدم تفسيرا صريحا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول الفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة مثل (ناولني الكتاب من فضلك)، فما أفادته القرينة من فضلك تخرجنا من معنى الطلب (الأمر) إلى معنى الإلتماس.[2]

– ومجمل القول، التداولية علم يدرس اللغة أثناء استعمالها في سياق التخاطب حيث اهتمت بالظروف المحيطة بالفعل اللغوي من أجل الوصول إلى المعنى وتبيان علاقة الكلام بالمتكلم فهي بهذا خرجت عن دراسة اللغة دراسة مغلقة محايثة. وللتداولية جذور في تراثنا العربي القديم فهناك الكثير من المصطلحات التي استخدمها العرب قديما سواء في المجال البلاغي أو النحوي أو غيرها حاضرة في الدرس التداولي، وسعى رواد هذا المنهج إلى وضع نظريات خاصة به من أهمها: نظرية أفعال الكلام، التلفظ الإفتراض المسبق، الإستلزام الحواري، الحجاج...، وهذا الأخير الذي سنفصل فيه من خلال ما يأتي.

---

[1] – ينظر: جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص34.

[*] فيلسوف امريكي (1913– 1988)، من أهم فلاسفة اللغة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته: محاضرات وليام جايمس، التي ألقاها بهارفاد 1968 ونشرت لا حقا سنة 1975.

[2] – ينظر: العياشي أدراوي ، الإستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها) دار الآمان، منشورات الإختلاف، ط1، 2011، ص430.

-تمهيد:

نظرية الحجاج من آليات الدرس اللساني التداولي إلى جانب نظريات أخرى جاءت بها التداولية لدراسة اللغة، وتتضمن هذه النظرية بدورها تقنيات واستراتيجيات تسهم في دراسة الخطاب دراسة حجاجية. سنحاول التعرف على هذه النظرية وكذا جملة الأسس التي تبنى عليها.

1-تعريف الحجاج:(L'argumentation)

أ-لغة: يشير "**ابن منظور**" في معجمه (لسان العرب) إلى الحجاج بقوله:« حَاجَجْتُه أَحَاجُّه، حجاجا و محَاجَّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. وحاجه مَحَاجَّة وحجاجا نازعه الحجة، والحجة البرهان».

قال "**الأزهري**" : « الحجة، الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ويقال أيضا رجل محجاج أي جدل. والتَّحاج بمعنى التخاصم. وحاجه أي نازعه الحجة»[1]

-ويعرف "**ابن فارس**" كذلك الحجاج في (مقاييس اللغة) كالآتي: « يقال حاججت فلانا وحججته أي غلبته بالحجة و ذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر الحجاج ».[2]

مايلاحظ بعد التمعن في المفهوم اللغوي للحجاج عند كل من "**ابن منظور** و**ابن فارس**"

أن الحجاج يعني النزاع والخصومة بين طرفين حيث يقدم كل طرف أدلة وبراهين يستطيع من خلالها إثبات صحة حجته وغلبة الطرف الآخر وبالتالي إقناعه.

- وكذلك الحال بالنسبة للحجاج في اللغة الأجنبية فالمعنى لا يختلف ، فلفظة حجاج تشير حسب قاموس "**روبير**" (**Le Robert**) إلى: « الدفاع عن اعتراض أو أطروحة

[1] -ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ،بيروت، م 4، مادة (ح ج ج)، ج1، ص38.

[2] -ابو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ، دار الجيل، بيروت، م 2، ط1، 1991، ص27.

بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر مصحوبة بحجج» [1]، أي تقديم الأدلة والحجج التي تمكن من دحض أو دعم فكرة معينة.

– ويرى "**أندري لالاند**" (**André Laland**) أن الحجاج: « سلسلة من الحجج تؤدي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها»[2]، فهو من هذا المنطلق يعتبر متوالية من الأدلة والحجج المنظمة التي تؤدي إلى نتيجة مقنعة.

ب– اصطلاحا:

تتعدد مفاهيم الحجاج حيث يعرف: « بأنه استراتيجية* لغوية تكتسب بعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب على اعتبار أن اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات السياق*، فالمتكلم أثناء العملية التخاطبية ينقل تصوراته ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع قاصدا بذلك التبليغ والإخبار أو التأثير في المستمع، وبالتالي يعمد المتكلم إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره وبخاصة ما يظهر فيها من اختلاف بينها».[3]

وهذا يعني أن الحجاج طريقة وتقنية خاصة يتبعها المتكلم من أجل عرض أفكاره وتصوراته بواسطة الخطاب اللغوي قاصدا بذلك الإقناع والتأثير.

---

[1] – حبيب أعراب: الحجاج والإستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، (مقال)، مجلة عالم الفكر، الكويت مج30 ع1، 30 ديسمبر 2001، ص93.

[2] – حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ج1، ص2.

* الاستراتيجية: عادة ما تقترن بمصطلح ما، وهي طرق محددة لتناول مشكلة أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة.

* السياق: الموقف الذي ينجز فيه القول، ذلك الموقف الذي تسهم في تكوينه ظواهر زمانية ومكانية مع معرفة المتكلمين لهذه الظواهر.

[3] – ينظر: حمدي منصور جودي: استراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ الإبراهيمي، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة، ع5، جوان 2009، ص109.

– أما "**بيرلمان**"[*] **(Perlman)** فيقول: « إن هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة وتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدم لهم».[1]

– ويعرف أيضاعلى أنه: « عرض المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية»[2].

– فالحجاج إذن يعتبر تقنية خطابية في عرض جملة الحجج والأدلة بهدف الإقناع.

2- الحجاج بين الجدل والخطابة:

– تعددت الدراسات التي تناولت مصطلح الحجاج منذ القدم (في تراثنا العربي) حيث ارتبط هذا الأخير بالعديد من المصطلحات التي وظفت كمعاني متقاربة له وأحيانا أخرى مختلفة باختلاف المدارس والإتجاهات وهذا ما سنشير إليه بحديثنا عن الجدل والخطابة.

2-1- الحجاج والجدل

الجدال في اللغة مأخوذ من مادة **(جدل)**: « والجدل شد الحبل، وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله، وفتلته فتلا محكما... وهو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لإظهار الحق...»[3].

---

[*] برلمان: أكاديمي بلجيكي (1912–1984)، أستاذ بجامعة بروكسيل، مؤسس ما يعرف بالبلاغة الجديدة، من مؤلفاته: البلاغة والفلسفة، حقل الحجاج....

[1] – محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1 2010، ص103.

[2] – محمد العيد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر صيف، فريق 2002م، ع 60، ص44.

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة جدل، م2، ص571.

– فالجدل يعني الشد والإحكام، وبالتالي القدرة على المخاصمة والمغالبة بالحجج والبراهين فالجامع هنا بين الجدل والحجاج هي المخاصمة.

– ويقول" **الشريف الجرجاني**" معرفا إياه: « هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان»[1]، فحسب تعريف "**الجرجاني**" الجدل يقوم على جملة من القضايا المقررة التي يسلم بها الخصم وبالتالي إلزامه، أما الحجاج غير إلزامي فالطرف الآخر يسلم بالفكرة إذا كانت الحجج مقنعة.

وقد فرق القرآن الكريم بين معنى الحجاج والجدل في الاستخدام وهذا ما نلمسه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: « **ألم تر الذي حاج إبراهيم في ربه»(سورة البقرة، الآية 257)** فسر هذه الآية: "**محمد الطاهر بن عاشور**" بقوله: « معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف ل(حاج) في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة(....) وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل».[2]

– وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى:« **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم» (سورة النساء: الآية: 107).**

« والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[3]، وقال في موضع آخر المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فيكون في الخير كقوله تعالى: « **فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط». (سورة هود الآية: 74).**

[1] – الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2003 ص137.

[2] – ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، ج3، ص(31–32).

[3] – المرجع نفسه، ص197.

وتكون في الشر كقوله:« **ولا جدال في الحج**».[1] **(سورة البقرة، الآية: 197)**.

فالجامع بين المعنيين (الحجاج والجدل) في القرآن هو المخاصمة، لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة كما أشار "**ابن عاشور**"، في حين أن الجدل منه ما هو باطل كما يفهم من شاهدي القرآن فيما ذكر ضمن قول "**ابن عاشور**"

– ونجد "**الجاحظ**" يقول: « الحجاج يستعين بالجدل لتفكيك استراتيجيات المخاطب الدفاعية وتعطيل قواه»[2]؛ فالحجاج يجعل من الجدل أداة ووسيلة لإبطال الحجج المضادة.

– ومهما يكن من أمر فإن الحجاج والجدال يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء، من ذلك أن "**أبا الوليد الباجي**" عنون كتابه وهو من علم أصول الفقه بـ: (سبيل المنهاج كتابا في الجدل)»[3].

ونجد أيضا "**جلال الدين السيوطي**" في كتابه(الإتقان في علوم القرآن)، وفي الفصل المعنون بـ(جدل القرآن)، قصد بالجدل الحجاج (...)، وأراد بذلك احتجاج المتكلم على ما يريد بحجة تقطع المعاند له.[4]

– إن اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفا للجدل واستخدامهم أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مترادفين من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل، إن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدل، فإذا كان الجدل يمثل القسم الإقناعي من الخطاب فإن الحجاج جوهر الخطابة باعتبارها فن الإقناع.[5]

---

[1] – المرجع السابق، ص60.

[2] – عبد الله صوله: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون، تونس، ط2، 2007، ص11.

[3] – أبو الوليد الباجي: المخارج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2 1987، ص8.

[4] – قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن ، 2012، ص(24–25).

[5] – المرجع نفسه: ص(25–26).

– يمكن القول بعد عرض هذه الآراء أن الجدال والحجاج على الرغم من أنهما يشيران إلى ذات المعنى لغة وهي المخاصمة والمغالبة، ويسيران مترادفين بالنسبة لبعض القدامى والمحدثين إلا أن مجال الحجاج أوسع لأنه يحمل جملة الأدلة والبراهين التي يعرضها المخاطب بهدف إقناع الآخر مراعيا بذلك الظروف المحيطة بالمتلقي لهذا ينتقي من العبارات ما يتناسب والموقف، أما الجدل فهو عبارة عن تخاصم لا يرجى الإقناع أو التأثير من خلاله إنما يعتبر الإقناع نتيجة حتمية وليست مرجوة.

– "**وفليب بروطون**" **(Phillip Bruton)**: في كتابه (الحجاج في التواصل) يرى أن « الحجاج ليس إقناعيا مفروضا إنما هو اقتراح الرأي على الآخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له»[1]، « والنتيجة في الجدل مطلوبة تعضدها حجج وتقومها حجج أخرى. والقياس الجدلي يجري بين سائل ومجيب، فالجدل من هذه الجهة مشروط بمخاطبة الآخر والتباحث معه ومشاركته في الفحص إلى أن يتهيأ الإقناع».[2]

2-2- الحجاج والخطابة:

– تشتمل الخطابة على تعريفات شتى من بينها: « أنها فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلابد من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، ولابد من جمهور مستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصية»[3]؛ يتضح لنا من خلال هذا التعريف أنها تعد أي الخطابة من بين الفنون النثرية التي يهدف من خلالها الخطيب إلى إيصال رسالته بطريقة مباشرة، أي حضور كل من (المرسل، والنص (الخطبة)، والمرسل إليه) بغية الإقناع والتأثير، والإقناع كما سبق وذكرنا أنه وظيفة وغاية أساسية للحجاج، حيث يتضمن نص الخطبة مجموعة من الإستراتيجيات الحجاجية التي بواسطتها يستطيع الخطيب إبلاغ رسالته وإفهام الآخر، وتتنوع هذه الإستراتيجيات وتختلف حسب المقام والحاجة.

---

[1] – ينظر: فليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال عبد الواحد التهامي العلمي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2013، ص33.

[2] – ينظر: عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي (خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي)، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2013، ص65.

[3] – أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة، دار النهضة، مصر، د–ط، 2001، ص5.

– وتلتقي الخطابة مع الحجاج أيضا في كونهما لا يفرضان على المتلقي الإذعان والتسليم إنما يحدث ذلك بعد التحاور والمناقشة.

– وأضحت الخطابة مع "**بيرلمان**" تغطي مجالات أخرى حيث يقول: « إذا كانت الخطابة تقدم لنا– عند القدماء– باعتبارها تقنية يستعملها العامي المتلهف إلى البلوغ السريع للإستنتاجات وتكوين رأي ما دون تمهيد لذلك يتحمل عناء البحث الجاد فنحن لا نريد أن نقصر دراسة الحجاج على دراسة جمهور العوام»[1]؛ وبالتالي خرجت من هذا المنطلق الخطابة من كونها خطابا سريعا يرجى منه نتيجة سريعة دون تمهل وبحث موجه لعامة الناس إلى خطاب يحوي في طياته جملة الروابط والآليات لاستمالة المتلقي وإقناعه شأنها شأن الحجاج.

– ويؤكد "**علي سلمان**" أن: « الخطابة أعم من الجدل وتتفق معه في كونها تنشأ على المسائل ومن طبيعتها أن تناقش»[2]؛ فالخطابة والجدل يقتضيان وجود مشكلة وموضوع يستوجب نقاشا وحلا.

– إذن وكما قال "**عبد الله صولة**": « إن الحجاج هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة من حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج»[3]؛ فالحجاج فعالية لغوية تبرز وتظهر في كثير من الحقول المعرفية منها (الجدل، الخطابة...)، لذلك تبقى قاسما مشتركا بينهم.

[1] – المرجع السابق، ص18.

[2] – علي محمد سلمان: كتابة الجاحظ في ضوء نظرية الحجاج، المؤسسة العربية, بيروت، لبنان، ط1، 2010 ص41.

[3] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، ص17.

3- الحجاج في الفكر الغربي والعربي القديم:

3-1- في الفكر الغربي:

أ- عند السفسطائية:

يعتبر اليونانيون أول من نظر لفن الخطابة، وقد بدأ التنظير مع "**أفلاطون**" و"**أرسطو**" بعد طغيان الخطابة السفسطائية، وهي خطابة تسعى للتأثير في العواطف والأهواء، وتحويل هذا التأثير إلى إقناع، فهم كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة[1]، واهتم السفسطائيون أيضا ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع ويحدث تغيير لمواقف الآخرين، واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة بمقامات الناس وبكليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية[2]. يتبين لنا أن السفسطائيون قديما اهتموا بالوسائل التي من شأنها أن تؤثر في العواطف وتحدث تأثيرا، وركزوا على السياقات ودورها في بناء المعنى.

ب- عند أفلاطون وأرسطو:

- إنطلق كل من "**أفلاطون وأرسطو**" من الخطابة السفسطائية التي كانت في نظرهم خطابة مغلوطة، لذلك نجد **أفلاطون** وقف ضد هذه الخطابة وحاول تقييدها ودعا إلى ضرورة استخدامها في أغراض سامية وأهداف نبيلة. كما سعى "**أرسطو**" في كتابه: (الخطابة) إلى توجيه الخطابة السفسطائية فأوجب على الخطيب شروطا أولها: « أن يتعرف على نفسية الجمهور ليخطب فيه بما يناسبه ويلائم حالته»[3]؛ **فأرسطو** من هذا المنطلق يجعل للخطيب مبادئ لا بد أن يتقيد بها وأن يراعي مبدأ لكل مقام مقال.

---

[1]- حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العلمية لمكتبة الإسكندرية مصر، د-ط، ص51.

[2] - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص27.

[3] - حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص(7-8).

– ويعرف **أرسطو** الخطابة بقوله: « الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع»[1]؛ أي أن الخطابة عنده وسيلة أو فن تستخدم فيه تقنيات معينة من أجل الإقناع.

–« والحجج عند **أرسطو** درجات منها القوية ومنها الضعيفة، ويجعل من هذه الحجج أركان لا بد منها حتى يكون الإقناع ناجعا والحجاج فعالا، ويبدو أنه يركز في نظرته على حجة الإيتوس (أخلاق الخطيب) ومدى تأثيرها في المتلقي».[2]

3-2- في الفكر العربي:

– ذكر "**الجاحظ**" أن:« جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواقع الفرصة»[3].

فالبلاغة عنده هي الحجاج والهدف منها جعل المتلقي يذعن ويتقبل المعرفة المقدمة له.

ويرى أيضا أنه:« إذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الإستكراه، ومنزها عن الإختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة»[4]؛ وبالتالي يشترط أن يكون اللفظ والمعنى مطبوعين لا صنعة ولا تكلف فيهما لأن المتكلم إذا كان على دراية بالموضوع الذي سيتحدث عنه فإن المعاني والألفاظ تنساق إليه انسياقا وبالتالي سيكون كلامه بليغا ويؤثر مباشرة في المتلقي.

– أما" **أبو هلال العسكري**" فالبلاغة عنده هي: « كل ما يبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[5]؛ يجب على المتكلم أن ينتقي الألفاظ المناسبة لإيصال فكرته ويؤثر في المخاطب ويجعل وقع الخبر على نفسه مماثلا لوقعه هو في نفسه كمتكلم.

---

[1] – المرجع السابق، ص28.

[2] – المرجع نفسه، ص29.

[3] – الجاحظ: البيان والتبين، وضع حواشيه، موقف شهاب الدين، منشورات محمد على بيوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، م1، ج1، ط1، 1998، ص68.

[4] – المرجع نفسه، ص65.

[5] – أبي هلال العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ج1 2004، ص10.

– ويرى "**الزمخشري**": « أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ويختص مواقعه بفوائد»[1]، فالتنويع في الأساليب يؤثر أكثر في المتلقي.

4- الحجاج في الفكر الغربي والعربي الحديث:

4-1- في الفكر الغربي:

– اهتم البلاغيون الغربيون المحدثون بالبلاغة خاصة ما أصبح يعرف في البحث التداولي بالبلاغة الجديدة التي أثارت إشكالية الحجاج من خلال مصنف في "الحجاج أو البلاغة الجديدة" **لبيرلمان Perelman وتيتكا Tytec** اللذين لا يعتبران الحجاج تلاعبا بعقل المخاطب، بل يؤكدان على أن موضوع الحجاج هو: « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم»[2]؛ فالحجاج من منظورهما يستوجب تفاعلا بين المتكلم والمتلقي وذلك يكون من خلال تعزيز النص الخطابي بالبنيات الاستراتيجية التي من شأنها تدعيم الموقف والتوصل إلى إقناع الآخر.

– وتهتم نظرية الحجاج باعتبارها – نظرية لغوية لسانية– بالوسائل اللغوية التي تتوفر عليها أي لغة طبيعية من أجل توجيه الخطاب وجهة حجاجية، لأنها تنطلق من فكرة عامة مفادها « أننا نتكلم عامة من أجل التأثير»[3]. وبالتالي الوظيفة الجوهرية والأساس لنظرية الحجاج هي (التأثير).

---

[1] – الزمخشري: أساس البلاغة، ص119.

[2] – عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص299.

[3] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص14.

4-2- في الفكر العربي الحديث والمعاصر:

- يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في الوطن العربي ارتباطا وثيقا بالباحث اللساني المغربي "**أبو بكر العزاوي**" الذي يؤكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع وهو ينطلق في: (لا تواصل من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل)، ويؤكد في مقدمة كتابه (اللغة والحجاج) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة العربية، ويهدف من خلالها إلى اكتشاف منطق اللغة، ثم قدم تعريفا للحجاج، إذ يعتبره إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد آليات التقديم والتسلسل والإستنتاج بهدف الإقناع.[1]

- ونجد أيضا "**محمد العمري**" في كتابه: **(في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)**، يسعى "**العمري**" إلى التنبيه إلى أهمية البعد الإقناعي للبلاغة العربية كما ركز في دراسته على عنصر المقام خصوصا في مقامات الخطابة السياسية، المتمثلة في المحاورات فيما بين الأنداد والخصوم، أو فيما بين الراعي والرعية ومقامات الخطابة الإجتماعية التي تتناول تنظيم العلاقات بين الناس وتنظيم المجتمع، وكذا الخطب ذات الطبيعة الوجدانية والتي تعتمد الحجج المقنعة والأسلوب الجميل والمؤثر.[2]

فالحجاج إذن من منظور "**أبو بكر العزاوي والعمري**" يهتم بالبعد الإقناعي ويعتبر حلقة تواصلية مبنية على قواعد لغوية تتكاثف لتعطي حججا تأثيرية.

[1] - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص8.

[2] - ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002، ص59.

5- أسس نظرية الحجاج:

نظرية الحجاج كغيرها من النظريات تقوم على جملة من القواعد والمبادئ التي تعد بمثابة عوامل وعناصر لغوية وبنيات تركيبية تساعد في تحليل النص وتوجيه المعنى من أهمها:

5-1- السلالم الحجاجية:

- **السلم الحجاجي:**« هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه».[1]

ويعرف أيضا: « بأنه ترتيب الحجج وفق سلم معين لإثبات نتيجة، حيث تطرح نظرية السلالم الحجاجية تصورا من حيث تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمهما تعكس تعدد الحجة الواحدة، على أن هناك تفاوتا من حيث قوة بناء الحجج»[2]

- ويمكن التمثيل لها كالآتي:

"ن" : النتيجة، "ب،ج، د" حجج تخدم النتيجة "ن"[3]. ونمثل له بالأقوال التالية:

---

[1] - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1998 ص277.

[2] - نعمان بوقرة :المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب ،جدارا للكتاب العالمي ،عمان ،الأردن ،2009 ص119.

[3] حمو التقاري: تحاجج ،طبيعته ،مجالاته ،وظائفه وضوابطه ،النجاح الجديد ،الدار البيضاء ،ط1 ،2006 ،ص59.

1-حصل زيد على شهادة الثانوية. د

2-حصل زيد على شهادة الإجازة. ج

3-حصل زيد على شهادة الدكتوراه. ب

- كل هذه الحجج تؤدي إلى كفاءة زيد

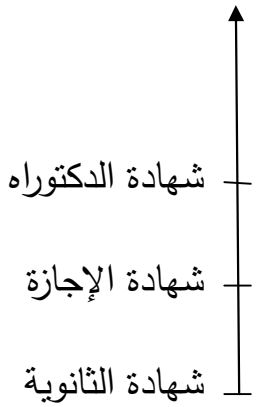

- إذن السلالم الحجاجية هي طريقة يتبعها المخاطب تتمثل في ترتيب حججه وفق سلسلة معينة تتناسب والموقف ليصل بها إلى نتيجة ما. وهناك تباين وتفاوت بين هذه الحجج.

- ولهذه السلالم جملة من القوانين أهمها:

أ- **قانون الخفض:** « مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها».[1]

[1] - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

– فعندما نستعمل جملا من هذا القبيل: الجو ليس باردا، لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل، فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الأول)، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني)، وسيؤول القول على الشكل التالي:

إذ لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار، ويؤول القول الثاني كالآتي: لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي.[1]

فقانون الخفض إذن في السلم الحجاجي يجعل معاني القول تأخذ دلالات واضحة وغير متباينة رغم ما تحمله الجملة الأولى من نفي لكنهما يتساويان في المعنى.

ب– قانون النفي (تبديل السلم):

« مفاده أن الحجة تؤدي إلى نتيجة معينة، ونقيض هذه الحجة يستلزم آليا نفي نتيجتها. وقد مثل "**طه عبد الرحمن**" لقانون النفي بالصيغة الترميزية التالية:

(با ⟸ نا ⟸ (¬ با ⟸ ¬ نا)[2]

– فقانون النفي مفاده أن نفي الحجة يؤدي مباشرة إلى نفي النتيجة.

ج– قانون القلب: ويفيد هذا القانون أنه: « إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول».[3]

[1] – المرجع السابق، ص(277–278).

[2] –المرجع نفسه، ص278

[3] – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

ويرتبط هذا القانون بالنفي حيث يكون السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية[1]، ومثال ذلك: « حصل زيد على الماجستير والدكتوراه، لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هي الحجة الأقوى على عدم كفاءته».[2]؛ ما يعني أن كل حجة تؤدي إلى نتيجة معينة، وقد تتفوق حجة على أخرى في الوصول إلى النتيجة وإثباتها، وهذا يؤدي مباشرة إلى أن نقيض الحجة الثانية يكون أقوى في إثبات النتيجة من نقيض الأولى.

5-2- الروابط الحجاجية:

- الروابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، ومن بين الروابط: بل، لكن، حتى لاسيما، إذن...،نحو:

الأستاذ متمكن من مقياسه، إذن سينجح في إفهام طلبته

الحجة الرابط النتيجة

- وكذلك الروابط عبارة عن عناصر نحوية من حيث طبيعتها تربط بين القول الأول والقول الثاني، نحو: (الواو، الفاء...)[3]؛ فالروابط الحجاجية أدوات ربط تنظم عملية بناء الدلالة وهي كثيرة ولكل أداة معنى معين.

[1] - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2014 ص26.

[2] - المرجع نفسه، ص(30-31).

[3] - ربيعة عربي: بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، مقالة، موقع التمدن، ع 4046، 03/29/ 2013.

5-3- العوامل الحجاجية:

العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، لكنها تقوم بحصر وتقييم الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما. مثل: (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا...)، وجل أدوات القصر.[1]

5-4-الحجة والنتيجة:

- يرى أصحاب نظرية الحجاج وعلى رأسهم "**أوزفالد ديكرو**"* **(Oswald Ducrot)** أن الحجاج يقوم على تقديم حجج وأدلة معينة للوصول إلى نتيجة معينة، وبالتالي يفرض على المتكلم إنجاز مجموعة من الأقوال تمثل حججا ومجموعة أقوال أخرى تمثل نتائج تستخلص من الحجج، كقولنا: الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

- فالجملة الأولى تمثل حجة والثانية تمثل نتيجة مستخلصة منها، وقد تكون الحجة جملة أو فقرة أو نصا، وقد تكون مشهدا من الواقع (مشهد من التاريخ أو الواقع الحاضر أو المستقبل)، وقد تكون ظاهرة أو مضمرة وكذلك النتيجة كقولنا: (الجو بارد) فالنتيجة مضمرة تفهم من سياق الكلام كأن تكون ضرورة للزوم البيت، أو عدم التأخر للعودة إلى البيت.

- وبالتالي فأهم صفة تتميز بها كل من الحجة والنتيجة أنهما مترابطان بالسياق الكلامي.[2]

- ومجمل القول، أن الحجاج من بين النظريات المهمة في الدرس اللساني التداولي حيث تدرس هذه النظرية التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تعزز موقف المخاطب حتى يصل لإقناع الآخر والتأثير فيه، وذلك عبر سلسلة من الحجج والأقوال المنطقية، فوظيفتها الأساس هي الوظيفة الحجاجية. وعرف هذا الأخير منذ القديم في

---

[1] - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص28.

* لساني فرنسي واحد من أبرز المساهمين في الدراسات المتعلقة بالتداوليات والتلفظ ونظرية الحجاج،من كتبة السلالم الحجاجية، الحجاج في اللغة...

[2] - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 20.

تراثنا العربي بتسميات ومصطلحات عديدة وظفت بطرق شتى (كالجدل والخطابة...) وترجع الإرهاصات الأولى لهذه النظرية إلى الفلسفة اليونانية (**أرسطو**، **أفلاطون**...). وأصبحت حديثا تعرف بالبلاغة الجديدة مع "**بيرلمان**" وغيرهم، وتقوم هذه النظرية كغيرها من النظريات على مجموعة من الآليات والأدوات الإجرائية التي نصل من خلالها إلى تحليل الخطاب من أهمها: (السلالم الحجاجية، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية الحجة والنتيجة).

الفصل الثاني

ستراتيجيات الحجاج في نماذج من خطب صدر الإسلام

تمهيد:

كان لظهور الإسلام إيذانا بتطور واسع في الخطابة، فأصبحت خادمة للدعوة الإسلامية مستمدة أدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتصنف الخطابة في هذا بناء على موضوعاتها إلى خطب دينية وعظية الهدف منها نشر الدين الجديد والحديث عن كل ماله علاقة بالعقيدة الإسلامية إلى جانب الخطب السياسية والتي لها صلة بقضايا الدولة والحكم وتوضيح القوانين....، ولما كان الحجاج مجاله الخطابة حاولنا التطبيق على نماذج من هذا العصر تراوحت بين (خطب دينية وسياسية) للتعرف والبحث من خلالها عن مختلف الوسائل الحجاجية الإقناعية الغالبة على حجج هذا العصر (صدر الإسلام). وهذا ما سنوضحه من خلال ما يلي:

1- خطبة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم:

1-1- السلالم الحجاجية:

-سميت بحجة الوداع بعد وفاة **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، وكان **عبد الله بن عباس** أنكر قولهم: "**حجة الوداع**"، فقالوا "**حجة الإسلام**"، فقال: نعم لم يحج **رسول الله صلى الله عليه وسلم** غيرها، وهي تسمى أيضا "**حجة البلاغ**"[1]. تضمنت هذه الخطبة جملة من القيم الشرعية والإجتماعية والأخلاقية.

- بنى **الرسول عليه الصلاة والسلام** خطبته على مجموعة من الحجج يكمل كل منهما الآخر في سبيل دفع المتلقي للإذعان والتسليم، فعمد إلى وضع الحجج في تراتبية منطقية مشيرا إلى النتيجة (مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها أو قد تبقى ضمنية).وفق سلم حجاجي مؤسس على التدرج في توجيه الحجج مرتبا إياها تصاعديا.

- ومن أمثلة ذلك قوله **عليه الصلاة والسلام: « يأيها الناس، إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم**

[1] ينظر: أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تح: (سهيل زكار ورياض زركلي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص473.

هذا»[1]؛ **فالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام** بدأ كلامه بحجج منطقية فحذر من التعدي على الأموال والأعراض وسفك الدماء، وصولا للحجة الأكثر وقعا والتي من خلالها يصل المخاطب إلى التسليم بالحقائق والمتمثل في إشارته لحرمة الشهر واليوم والبلد. ليصل بهم إلى نتيجة مفادها أنهم ملاقوا ربهم وأنهم سيحاسبون على كل أفعالهم لذلك فليجتنبوا ما نهاهم عنه وليسيروا على الطريق المستقيم ولينهجوا دربه **عليه الصلاة والسلام**. وذلك بقوله: **«وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم»**[2]. **فالرسول صلى الله عليه وسلم** إذن بدأ بحجة ثم أخرى ليصل للنتيجة التي يريد إبلاغها للمتلقي وعليه يكون السلم كالآتي:

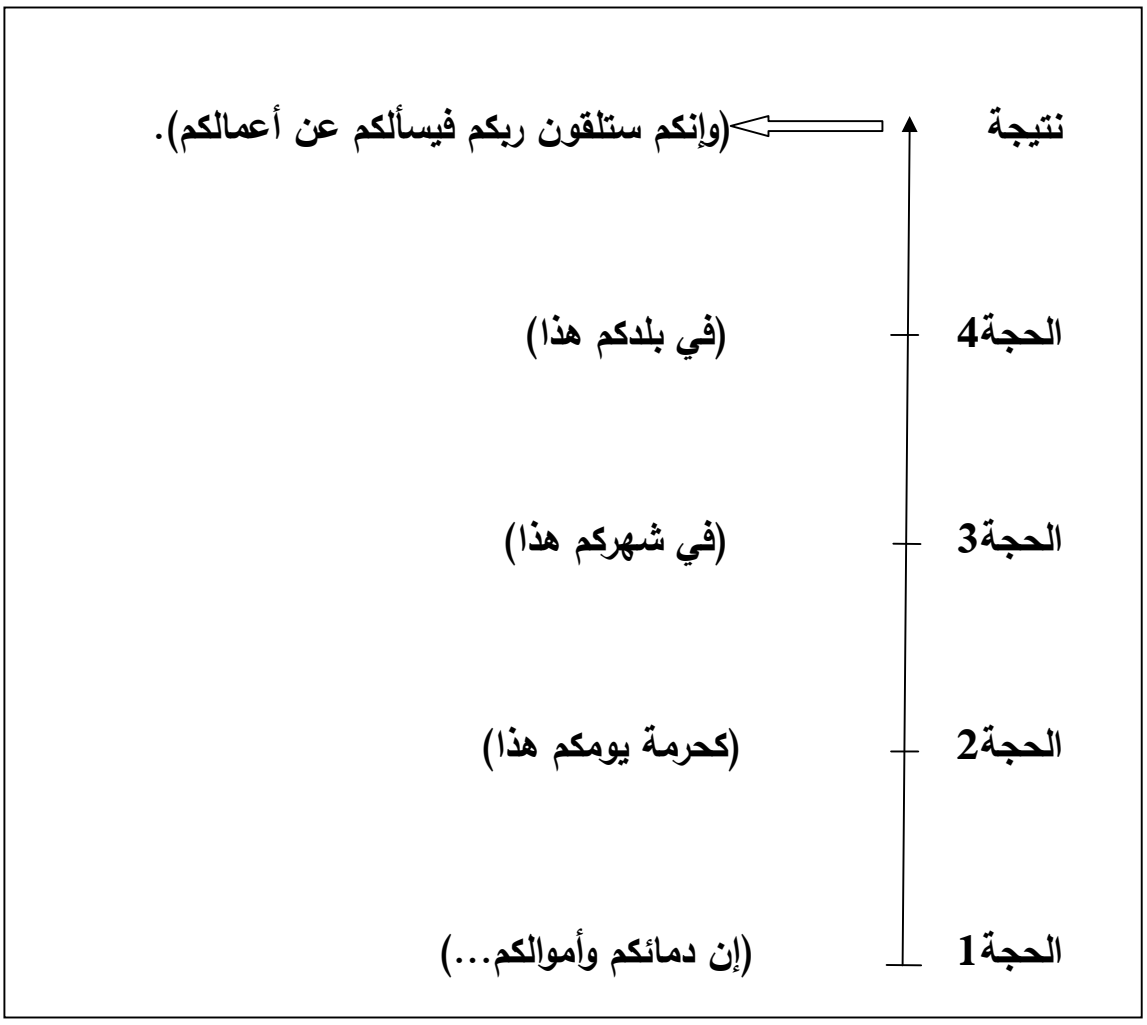

[1] – أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام)، مكتبة ومطبعة الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1923، ج1، ص57.

[2] – المصدر نفسه، ص57.

ومن الحجج الواردة أيضا في الخطبة قوله **عليه الصلاة والسلام:** « **وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب**»[1]، فهو أسقط الربا ونهاهم عنه بالتدرج في عرض الحجج من الأضعف إلى الأقوى، وهذا لما في الربا من تأثير سلبي على الأموال والإقتصاد، وبدأ **عليه الصلاة والسلام** بعشيرته حتى يقدم تصورات واضحة لما يريد الوصول إليه والتي يسعى من خلالها إلى تحقيق الوظيفة الإقناعية (أي إقناعهم بضرورة الإبتعاد كليا عن الربا فهو من المحرمات).

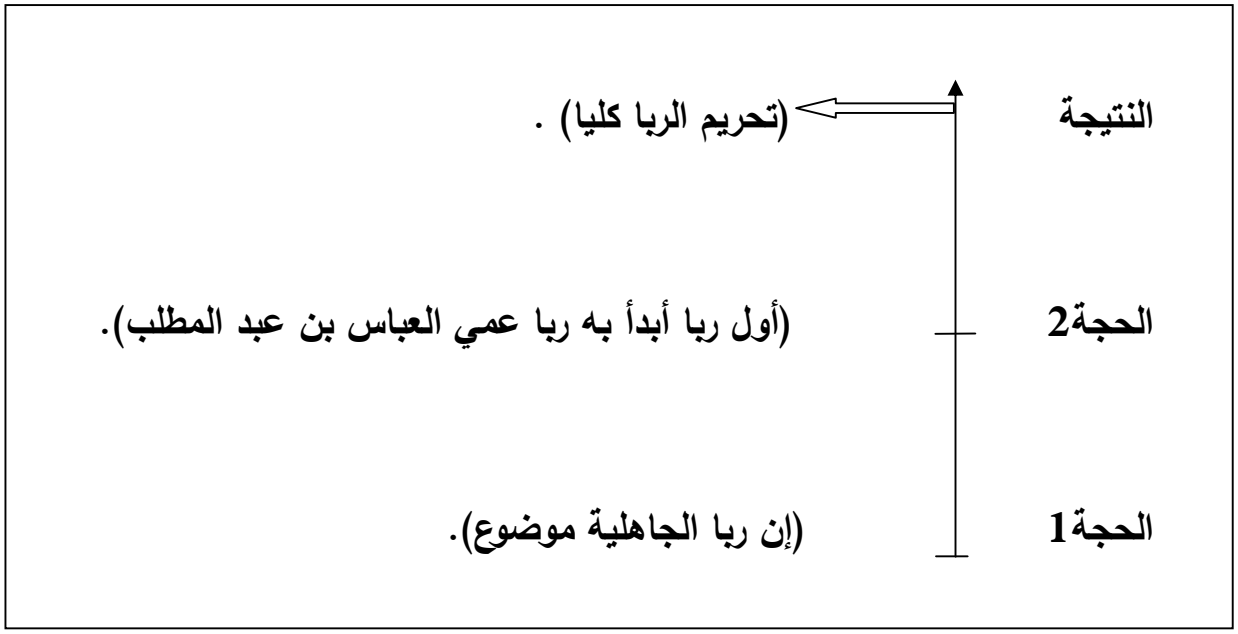

وحتى يبين مكانة المرأة في الإسلام أوصى الرجال بهن خيرا، وبين **عليه الصلاة والسلام** حقوقهن وفي ذلك يقول: « **أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا**»[2]؛ عمد **عليه الصلاة والسلام** إلى التفسير ودعم كل حجة بما يليها حتى يستطيع الإقناع، لأن الحجة عنصر دلالي يخدم عنصرا دلاليا آخر، وهذا من أجل توضيح مختلف القضايا والمواقف المتخذة فيظهر المعنى المراد مباشرة.

[1] – المصدر السابق، ص57.

[2] – المصدر نفسه، ص59.

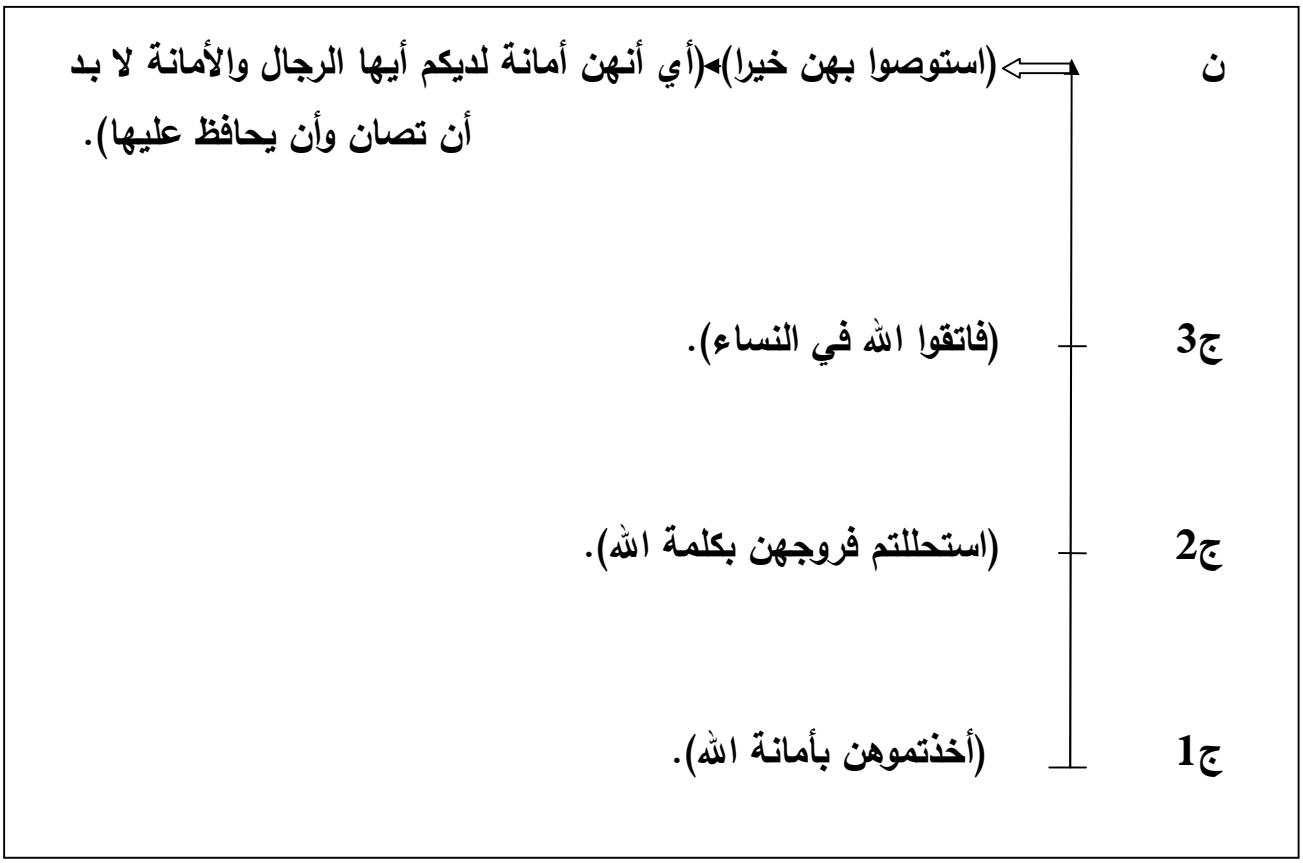

ويقول **عليه الصلاة والسلام** في أواخر خطبته: « **أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب**»[1]؛ إختار هذه الألفاظ لحجته حتى يُفهم المتلقي مراده، وأراد من هذا الكلام أن الناس خلقوا سواسية، وأنه لا فضل لأحد على الآخر إلا بالعمل الصالح حيث ذكر **عليه الصلاة والسلام** في الحجة الأولى بأن ربهم واحد لا إله غيره وأنهم جميعا أبناء آدم (في حجته الثانية)، لذلك فعليهم بتقوى الله، فوجه بذلك دلالة الملفوظ نحو النتيجة (وهي أن نهاية الإنسان مهما عاش وكان الثرى والتراب).

[1] – المصدر السابق، ص59.

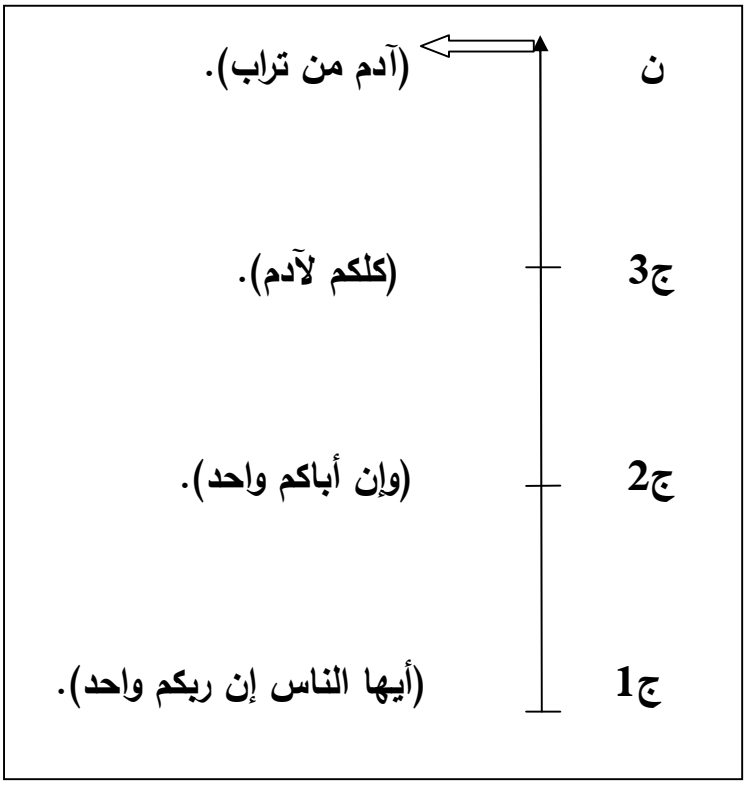

1-2- الروابط الحجاجية:

توجد في الخطبة روابط عديدة أسهمت في إحداث الإنسجام داخل الخطاب وبالتالي تحقيق الغاية التي يريدها المحاجج وتوجيه السامع للوجهة التي قصدها المتكلم (المخاطب).

ومن الروابط الموجودة في الخطبة:

1-2-1:حرف العطف (الواو)، (الفاء)

أ- **الواو:** ويستعمل هذا الرابط لترتيب الجمل وجعلها متناسقة مما يحقق الوظيفة الحجاجية ويظهر في مواطن عدة في الخطبة نحو قوله **عليه الصلاة والسلام:** « **الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه...، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير...، إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم...،**»[1]؛ تم سرد الجمل وفق التسلسل الزمني الذي أراده **الرسول صلى الله عليه وسلم**، وعليه جاءت الحجج متناسقة

[1] - المصدر السابق، ص57.

متسلسلة وغير منفصلة، ومنه تحقيق النتيجة الضمنية التي يريدها (الإبتعاد عن المحرمات وطاعته سبحانه وتعالى).

ب- (الفاء): المتتبع للخطبة يجد أن **(الفاء)** جاءت كرابط بين الحجة والنتيجة، أي بين الشرط وجوابه مثال قوله **عليه الصلاة والسلام:** « **فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها...، فمن ازداد فهو من الجاهلية....، إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أموالكم فاحذروه....**»[1]. فقد وردت معطوفة مسببة لما قبلها فجعلت من الحجة شرط للنتيجة، فوجود هذا الرابط جعل من أوامر **الرسول صلى الله عليه وسلم** صريحة واضحة أمام المتلقي.

1-2-2- الرابط (إن):

فحسب جمهور النحاة فهي: « تؤكد ما بعدها وتحققه»[2]، وقد وردت في نص الخطبة بشكل ملحوظ وهذا من أجل تنبيه المتلقي إلى جملة التوجيهات المقدمة، ومن أمثلة ذلك قوله **عليه الصلاة والسلام:** « **فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا...، إن دمائكم وأموالكم... وإنكم ستلقون ربكم...، وإن ربا عمي العباس بن المطلب...، وإن مآثر الجاهلية موضوعة...، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم...**»[3].

فالأداة **(إنَّ)** أضافت إلى نبرة الخطاب أهمية كبيرة مما يؤثر في نفسية المتلقي ويجعله ينتبه لما سيأتي بعدها.

وغيرها من العوامل والروابط التي كان لها الدور في انسجام الخطاب وتماسكه وصولا إلى إقرار المتلقي بصدق النتيجة والتأثر بها.

---

[1] - المصدر السابق، ص58.

[2] - مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص317.

[3] - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ص (57-58).

1-3- العوامل الحجاجية:

1-3-1- الحجاج بالإستفهام:

الإستفهام من بين الأساليب اللغوية التي يستخدمها المخاطب بغرض زيادة الإقناع، ويعرف على أنه: « طلب حصول أمر أو شيء في ذهن المتكلم»[1]؛ إذن تعمل الصيغ الإستفهامية بأنواعها كوسائل لإقامة الحجة والإقناع.

وقد استعان **الرسول صلى الله عليه وسلم** في خطبته على هذا الأسلوب في تقديم حججه قائلا: « **ألا هل بلغت؟**»[2]؛ ساعد الإستفهام هنا المتلقي في الكشف عن معنى النص وهذا بتنبيهه إلى أهمية القضايا التي يقوم المخاطب بطرحها. والإستفهام في قوله: « **ألا هل بلغت؟**»[3] يخرج من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي إذ **الرسول صلى الله عليه وسلم** لا ينتظر جوابا صريحا من جمهور متلقيه وإنما حاول استدراجهم للفكرة التي يريد، فغرضه من الإستفهام هو تقرير الحقيقة وهذا ما أعطاه بعدا حجاجيا يجعل المتلقي يمتثل لجملة الأحكام الواردة ذكرها في نص الخطبة.

1-3-2- الحجاج بالتكرار:

يعرفه "**أبو بكر العزاوي**" بقوله: « ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه»[4]، فالتكرار من هذا المنطلق يعتبر وسيلة في عرض الفكرة ذات الأثر الحجاجي الإيجابي في ذهن السامع.

---

[1] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر، دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2012، ص164.

[2] – أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ص (58-59).

[3] – المصدر نفسه، ص(58- 59).

[4] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص48.

لجأ الخطيب إلى أسلوب التكرار ومن ذلك تكراره للفظة « **أيها الناس**»[1]، حتى يبين لهم بأنهم طرف مهم في عملية الحوار وأن هذا الخطاب يعنيهم جميعا.

ومن أمثلة التكرار أيضا قوله: « **فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا...، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[2].

أضاف تكرار اسم الإشارة **(هذا)** للخطاب أهمية من خلال ترسيخ الفكرة المقصودة في نفس المخاطب وبالتالي تحققت وظيفته التنبيهية.

[1] – أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي،عصر صدر الإسلام) ص57.

[2] – المصدر نفسه، ص57.

2- خطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة*

2-1- السلالم الحجاجية:

يبدأ **الصديق رضي الله عنه** في عرض حججه وفق تسلسل منطقي، وهذا من أجل شرح فكرته وإيصالها بطريقة مقنعة، فعمد إلى ترتيب حججه ترتيبا تصاعديا في سلم حجاجي لأن سلامة الحجة تقتضي بالضرورة نتيجة سليمة وهذا إذا وافقت الشرط. فيقول في خطبته: « **أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن الكريم**»[1]، فالحجة الأولى التي قدمها **الصديق رضي الله عنه** ليثبت للأنصار أحقية المهاجرين بالخلافة أنه بين لهم مكانة المهاجرين فهم أول من آمن **برسول الله صلى الله عليه وسلم** وهاجروا معه من مكة نحو المدينة المنورة في سبيل النجاة بأنفسهم. ويتبعها بإثبات الصلة والقرابة التي بين **الرسول عليه الصلاة والسلام** والمهاجرين فكل منهما ينتمي لنفس القبيلة (قريش). ويواصل في عرض الحجج بالطريقة التي يصل من خلالها إلى استدراج المتلقي، فبدأ حديثه عن المهاجرين ونسبهم ومكانتهم ويقدم لهم دليلا قاطعا يثبت صحة ما قال وذلك باستشهاده بالقرآن الكريم حيث قال: « ... **فقال تبارك وتعالى: « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان» (سورة التوبة، الآية 100)**. وبهذه الحجة الثانية الغير قابلة للرفض استطاع الخطيب أن يجعل المتلقي يعمل عقله بعيدا عن تأثير موجات الوجدان، وتوجيه الأذهان وجهة دينية، ويصل إلى الحجة الثالثة فيقول: « **فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم**»[2]، بين من خلالها للأنصار أنهم إخوة يجمعهم رابط الدين والإسلام وأنهم هم من شاركوهم الفيء إلى أن يصل

---

* - وذلك أنه لما مات الرسول عليه الصلاة والسلام اختلفت الصحابة حول من يبايعونه خليفة له عليهم، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، واشتد النزاع حتى كادت أن تقع الفتنة، فخطب فيهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن بايعوه خليفة.

[1] - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ، مكتبة ومطبعة الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1923، ج1، ص63.

[2] - المصدر نفسه، ص63.

لقوله: « **فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء**»[1]، وهذه نتيجة لكل الحجج التي عرضها سابقا يؤكد لهم فيها أن المهاجرين هم من يجب أن يتولوا الخلافة، فهو اختار اللفظة والعبارة التي توضح مكانة كل من (المهاجرين والأنصار) فحتى وإن كان المهاجرون هم الأمراء فالأنصار هم الوزراء أي الملجأ والمعين الأول لهم فلا غنى لأحدهما عن الآخر.

ويختم **الصديق رضي الله عنه** خطبته بنصيحة يقول فيها: « ...،**لا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله**»[2]؛ أي لا تحاسدوا ولا تنظروا إلى إخوانكم المهاجرين على أنهم ليسوا بأهل للخلافة.

إذن يتضح لنا أن الخطيب قد صاغ حججه وفق سلم حجاجي كالآتي:

أ- من الحجة إلى ← النتيجة

ب- من الحجة التمهيدية الجزئية إلى ← الحجة الكلية إلى ← النتيجة.

وسنوضح ذلك من خلال مايلي:

[1] - المصدر السابق، ص63.

[2] - المصدر نفسه، ص63.

النتيجة
(نحن الأمراء، وأنتم الوزراء).
ج3
(الأنصار إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء).
(الحجة الكلية الكبرى)ج2
فقال تبارك وتعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين).
ج6 من 1
(أمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم).
ج5 من 1
(أكثر الناس ولادة في العرب).
ج4 من 1
(أحسنهم وجوها).
ج3 من 1
(أوسطهم دارا).
ج2 من 1
(أكرمهم أحسابا).
ج1
(نحن المهاجرون أول الناس إسلاما).

الحجة 1 : { تشتمل على حجج جزئية نتبعها في السلم}.

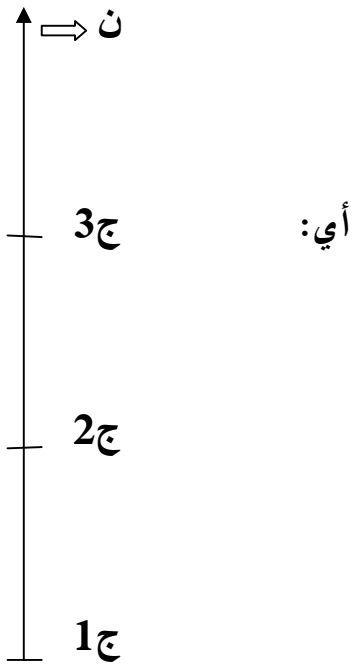

{فالحجج جاءت مرتبة ترتيبا تصاعديا من القوي إلى الأقوى منه بقصد زيادة التأثير}

2-2- الروابط الحجاجية:

وهي أدوات لغوية تستخدم بهدف الوصول إلى معنى ما، ولها وظيفة حجاجية تسهم في بناء الدلالة إلى جانب وظيفتها في إحداث الإتساق والإنسجام داخل النص.

ومن بين الروابط التي استخدمها **أبو بكر الصديق رضي الله عنه** في خطبته التالي:

2-2-1- الرابط الحجاجي (الواو):

وهي أكثرها حضورا في خطبته وذلك نحو قوله: « **وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم**»[1]، **(فالواو)** هنا أفادت الجمع دون الترتيب الزمني فتم من خلالها الربط بين الجمل وجمعها فتساوت كلها في الوظيفة.

- **والصديق رضي الله عنه** عندما استعمل **(الواو)** حجاجيا ساعده في ترتيب حججه فجاءت منظمة وعملت كل حجة على تقوية مايليها، وبهذا وصل إلى توضيح رأيه للمتلقي (الأنصار) والتأثير فيهم وبالتالي تحقيق النتيجة المرجوة، فإذن بواسطة الرابط **(الواو)** استطاع **الصديق رضي الله عنه** إقناع الأنصار بأحقية المهاجرين بالخلافة.

- فالرابط الحجاجي **(الواو)** قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة فجاء خادما لسياق الخطبة مما أحدث نوعا من الترابط والتماسك بين عناصر النص.

[1] - المصدر السابق، ص63.

2-2-2- الرابط (الفاء):

- ونجد إلى جانب **(الواو)**، رابط آخر استخدمه **الصديق رضي الله عنه** في آواخر خطبته ألا وهو **(الفاء)** نحو قوله: « **نحن المهاجرون وأنتم الأنصار...، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء...**»[1]، وكأنه من خلال الرابط **(الفاء)** جاءت جل النتائج واضحة وذلك نظرا لما أفادته في تسلسل وترتيب الحجج السالفة الذكر لأن **(الفاء)** كأداة من أدوات الربط تفيد «الترتيب والتعقيب»[2]، وجاءت **(الفاء)** أيضا سببية، وكأن جملة الحجج المقدمة سبب للحجج اللاحقة، وبالتالي عطف جملة على أخرى للوصول للنتيجة التي يريد تحقيقها جراء عرضه لمختلف الحجج أولها تذكيرهم بأنهم هم المهاجرون أول الناس إسلاما وأقربهم نسبا **برسول الله صلى الله عليه وسلم** وغيرها من الحجج الكافية للتأثير فيهم وإقناعهم أن المهاجرين هم الأحق بالخلافة وتقبلهم الفكرة بعقلانية ودون فتنة.

2-3- العوامل الحجاجية:

من العوامل الحاضرة في الخطبة مايلي:

2-3-1- الحجاج بالقصر:

عمد الخطيب في سبيل إيصال فكرته للمتلقي (الأنصار) والتأثير فيه إلى تقديم الجملة الاسمية في قوله: « **نحن المهاجرون، وأنتم الأنصار**»[3]، وبالتالي أراد أن يعلمهم ضمنيا بالنتيجة التي أراد الوصول لها، وهنا يظهر ويتضح تقديم ما حقه التأخير في القصر، إذ لعب القصر دورا في حصر وتوجيه الخطاب وجهة تجعل المتلقي يقتنع بالفكرة. فقدم **رضي الله عنه** المهاجرين عن الأنصار (كونهم أصحاب الحق في تولي الخلافة).

[1] - المصدر السابق، ص63.

[2] الآلوسي: حاشية شرح القطر في علم النحو، تح: فؤاد ناصر، مكتبة الصباح، لبنان، ط2، 2001، ص597.

[3] - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ص63.

2-3-2- أسلوب التوكيد:

عامل التكرار يظهر في قوله: « **نحن المهاجرون**»[1] في بداية الخطبة وإعادة اللفظة مرة ثانية حينما قال: « **نحن المهاجرون، وأنتم الأنصار**»[2]؛ فالتكرار جاء للفظتي (الأنصار والمهاجرين) لتأكيد المعنى وترسيخه في أذهان الأنصار حتى يزيل عنهم الشك بأحقية المهاجرين في الخلافة، إلى جانب تكرار كل من ضمير المتكلم (نحن) والمخاطب (أنتم). فقام التكرار هنا بوظيفة حجاجية إقناعية وضحت المراد من الكلام.

[1] - المصدر السابق، ص63.

[2] - المصدر نفسه، ص63.

3- خطبة أخرى للصديق رضي الله عنه بعد البيعة:

3-1- السلالم الحجاجية:

بعد وفاة **الرسول صلى الله عليه وسلم** تولى **أبو بكر الصديق رضي الله عنه** الخلافة، وفي هذه المرحلة ارتدت العرب حول المدينة، فسار رضوان الله عليه على درب **النبي عليه الصلاة والسلام** وبعث جيشا قائده **أسامة بن زيد**، لكن هناك من الأنصار من رفض هذا القرار نظرا لصغر سن **أسامة** وقلة خبرته فقال **أبو بكر رضي الله عنه:**« والله لو علمت أن السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته، ولا حللت لواء عقدة **رسول الله صلى الله عليه وسلم**. فقال **عمر**: إن الأنصار أمروني أن أبلغك، وهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من **أسامة**. فوثب **أبو بكر** وكان جالسا فأخذ بلحية **عمر**، فقال: ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب، استعمله **رسول الله صلى الله عليه وسلم** وتأمرني أن أنزعه؟ فخرج **عمر** إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أماهاتكم، ما لقيت في سبيلكم من خليفة **رسول الله**»[1]، فخطب **الصديق رضي الله عنه** خطبته هذه بعد البيعة ليجعلهم على بينة ويؤكد لهم أنه اتبع **الرسول عليه الصلاة والسلام** في قراره.

المتتبع لخطبة **رضي الله عنه** يرى أنه استهل خطبته بعد (أن حمد الله وأثنى عليه) بقوله: « **أيها الناس إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق**»[2]، وكأنها حجته الأولى التي أراد بها توضيح مكانته بينهم، فالبرغم من أنه صحابي وخليفة عليهم وكما وصفه **الرسول عليه الصلاة والسلام** (يوزن بأمة)، إلا أنه ذكرهم بأنه بشر مثلهم وأنه ليس بمعصوم عن الخطأ، فالخطيب بهذا الإستهلال الحجاجي الأول يجعل المتلقي يتقبل المعرفة الملقاة إليه لاحقا، وكما رأينا سابقا أن الحجج ترتب في السلم الحجاجي تصاعديا. يكمل الخطيب سرد الحجج اللاحقة قائلا: « **إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من الآفات**»[3]، وهي حجته ودليله الثاني بحديثه عن النبي

[1] – علي الطنطاوي: أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع (جدة)، ط3، 1986، ص173.

[2] – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ص 68.

[3] – المصدر نفسه، ص68.

الكريم كونه معصوم من الخطأ في كل ما يبلغ به من الشرائع والقوانين وما يوحى إليه من المولى عز وجل لا نزاع فيه.

ليصل **رضوان الله عليه** إلى نتيجة مفادها أنه ليس بمبتدع إنما متبع حيث قال:« **وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني...**»[1] فهو بين لهم أنه ينتهج نهج **الرسول عليه الصلاة والسلام** وحاول إقناعهم بطريقته في معاملة رعيته.

ما يلاحظ أن هناك تدرج في عرض الحجج من أجل التأثير على المتلقي فالجزء الأول من الخطبة حاول الصديق من خلال ما قدمه الوصول إلى إقناع المتلقي أنه بشر مثلهم وغير معصوم من الخطأ، وما جاء به ما هو إلا اتباع لسنة **المصطفى عليه الصلاة والسلام** ولهذا قام بتعيين **أسامة** قائدا.

– وعليه جاء السلم لهذا الجزء من الخطبة على النحو الآتي:

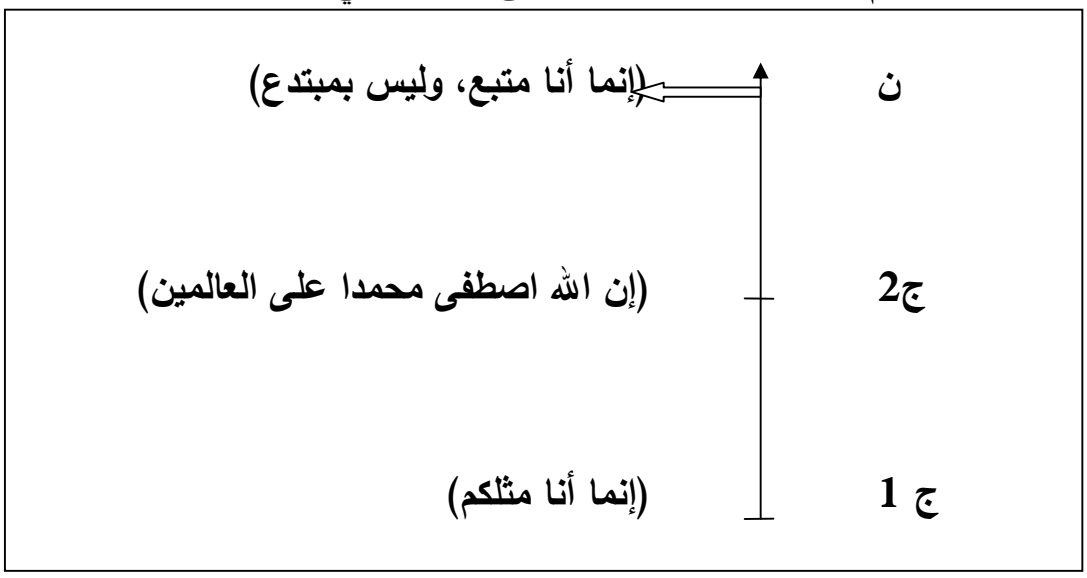

ويواصل الخطيب عرض حججه قائلا: « **ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا**»[2]، وهي حجته ودليله لإقناعهم بالجهاد في سبيل الله فهو خير الأعمال عند الله تعالى وأعظم الطاعات

[1] – المصدر السابق، ص68.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

وأفضل ما يتقرب به العبد من ربه، وقد وعد المولى عز وجل المجاهدين في سبيل الله بالجنة بغير حساب ولا سابق عذاب، والأدلة كثيرة سواء من الكتاب أو السنة كقوله تعالى: « **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**» **(سورة التوبة الآية 41)**.

ثم يقول **الصديق رضي الله عنه** « **فسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال**»[1]، هنا يحاججهم بأمور لا مهرب منها وهي حضور الأجل لذلك فعليهم المسارعة إلى عمل الخير فالموت آت لا محالة وبذلك جاءت حججه وفق تراتبية معينة ليقنعهم بالجهاد والإنضمام إلى الجيش، واعظا إياهم بقوله: « **فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم...**»[2]

فخطبته احتوت على حجج دينية وعظية إلى جانب الحجج السياسية.

وعليه يمكننا التمثيل لهذا الجزء بالسلم الآتي:

[1] – المصدر السابق، ص68.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

ن ⇦(فإياكم أن تكونوا أمثالهم،...) وبالتالي قبولهم للجهاد والإقتناع به.

ج3 (فإن قوما نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغير الله).

ج2 (فسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال).

ج1 (ألا إنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه).

3-2- الروابط الحجاجية:

3-2-1- الرابط الحجاجي (الواو)

« تعد **(الواو)** في الحجاج من أهم الروابط الحجاجية لأنها تجمع بين دورين:

- **الأول:** هو الجمع بين الحجج ورصفها وربط المعاني.

- **الثاني:** هو تقوية هذه الحجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض وتقوية كل منها بالأخرى من أجل تحقيق النتيجة المبتغاة وينتج عن الربط ب(الواو) "علاقة التتابع" التي تجعل المخاطب يلقي حججه بطريقة متسلسلة ومرتبة، فالربط الحجاجي بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكونات الخطاب وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد وتعمل **(الواو)** على الربط النسقي أفقيا عكس السلم الحجاجي».[1]

- ومن الشواهد على توظيف الرابط الحجاجي **(الواو)** في نص الخطبة قوله: « **وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق...، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع**»[2]، فتم من خلال توظيف هذا الرابط ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض فجاءت الجمل معطوفة متسلسلة بالشكل الذي يضمن الوصول إلى النتيجة ودعمها.

[1] - عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص472.

[2] - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) ص68.

3-2-2- الرابط الحجاجي: (الفاء)

فكما وظف الخطيب **(الواو)** وظف إلى جانبه **(الفاء)** وذلك من خلال الربط بين المسببات والنتائج نحو: « **فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني**»[1]؛ هنا جاء الرابط ليربط بين جملة الشرط وجوابه كما أدت وظيفتة الترتيب والتعقيب إلى جانب اتصالها بأدوات الشرط وذلك لتوصيل المقاصد الحجاجية.

-(**فالفاء)** في هذا المقام ربطت بين جملة الشرط وجوابه ربطا منطقيا.

3-3- العوامل الحجاجية:

3-3-1- الحجاج بالقصر:

- القصر من العوامل الحجاجية التي استند إليها الخطيب لتوجيه خطابه الوجهة التي يريدها أي إقناعه والتأثير فيه حيث وظف في هذا الخطاب بطرق متنوعة منها (التقديم والتأخير القصر بالنفي والإستثناء وإنما).

- والقصر **(بإنما)** نحو قوله:« **إنما أنا مثلكم**»[2]، وأتت في هذا السياق **(إنما)** ليعلم من خلالها الجمهور بأمور لا يجهلونها إذ يدركون تماما بأنه بشر مثلهم وليثبت إلى جانب هذا ما سيأتي بعدها، **والصديق رضي الله عنه** في الخطبة قصر عمله على اتباع خير الخلق **عليه الصلاة والسلام** بقوله: « **إنما أنا متبع**»[3]؛ وهذا ما يجعل المتلقي (الأنصار) يقتنعون به كونه خليفة عليهم ويتبع ماجاء به **الرسول الله صلى الله عليه وسلم**، وليس بمعصوم عن الخطأ. وعليه نصب **أسامة بن زيد** قائدا على الجيش.

[1] - المصدر السابق، ص68.

[2] - المصدر نفسه، ص68.

[3] - المصدر نفسه، ص68.

– أما القصر بالنفي والإستثناء:

– ويتضح ذلك في قوله: « **ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله...، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطوا الأموات...**»[1]؛ فمن خلال هذا القصر أضيف للكلام قوة حجاجية من خلال استمالة المتلقي، **فالصديق رضي الله عنه** قصر الأجل على العمل الصالح حيث حثهم على النظر للآخرة والعمل لها لأن الأجل لا ينتظر أحدا، وخير الناس من انقضى أجله وهو على طاعة وخير الطاعات الجهاد في سبيل الله فما أعظمه من ربح.

3-3-2- الحجاج بالتوكيد:

–« التوكيد هو معنى مستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية، وغرضه تواصلي، يستخدمه المتكلم ليثبت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة خالجها من الشبهات»[2]، وقد استعمل **الصديق رضي الله عنه** وسيلتي توكيد حتى يقدم حججه مثبتة، (أداة التوكيد إن إلى جانب التوكيد اللفظي) نحو قوله: «**وإني لا أدري... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض**»[3]؛ عملت أداة التوكيد **(إن)** على ضمان سلامة العملية الحجاجية من خلال توجيه ذهن المتلقي إلى ما أراده الخطيب من خطابه واستدراجه إلى التسليم بجملة الحقائق السالفة الذكر.

– أما التكرار اللفظي فكان في آخر الخطبة في قوله:« **فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، الوحا الوحا، والنجاء النجاء**»[4]، وكان لتكرار اللفظة في حد ذاتها كل مرة أثر على النص الخطابي إذ برزت من خلاله القيمة الحجاجية لموضوع الخطابة. **والصديق رضي الله عنه** لجأ إلى تكرار هذه الألفاظ ليحذرهم من انقضاء آجالهم وهم في غفلة من أمرهم

[1] – المصدر السابق، ص68.

[2] – مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص253.

[3] -أحمد زكي صفوت:جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي،عصر صدر الإسلام)، ص68

[4] – المصدر نفسه، ص68.

إضافة إلى وقع الكلمة المكررة في الذهن والقلب. فالتكرار هنا أدى وظيفة تتلاءم ومقاصد المحاجج.

3-3-3- الحجاج بالنفي:

- النفي أحد العوامل التي تتحقق بواسطتها وظيفة اللغة الحجاجية، فيأتي القول منفيا لإقناع الآخر إذ يبطل اعتقادات المتلقي ويحمله على الإذعان والإقتناع من خلال توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة، **والصديق رضي الله عنه** في خطبته يقول: « **لست بمبتدع**»[1]، فهو نفى عن نفسه البدع ليثبت العكس بقوله: « **إنما أنا متبع**»[2]، إذ برأ نفسه من هذه الحال وبين أنه يحاول اتباع ما جاء به **الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام**. فتحددت بذلك الوظيفة التوجيهية والنتيجة التي أرادها المخاطب.

ومجمل القول أن خطب صدر الإسلام احتوت على جملة من الاستراتيجيات التي ساعدت الخطيب في التعبير عن رأيه وبالتالي استمالة المتلقي و التأثير فيه، فجاءت الحجج في تراتبية منطقية داخل السلم الحجاجي. وكان للروابط و العوامل الحجاجية الموظفة دور في شحن الخطاب بطاقات حجاجية.

[1] - المصدر السابق، ص68.

[2] - المصدر نفسه، ص68.

خاتمة

من خلال وقوفنا على أهم المحطات التي مر بها هذا التيار توصلنا للنتائج التالية:

*تعتبر التداولية من بين أهم الدراسات التي عرفتها الساحة الفكرية اللسانية الحديثة تهتم بالجانب الإستعمالي للغة في السياقات المختلفة، وتدرس كل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمستمع، مركزة على البعد الحجاجي الإقناعي في الخطاب.

*نظرية الحجاج من أهم مباحث الدرس اللساني التداولي إلى جانب نظريات أخرى والحجاج إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين مستخدما في ذلك جملة من الحجج التي تؤكد موقفه وأسسه.

*ترجع الإرهاصات الأولى لهذه النظرية (نظرية الحجاج) للفلاسفة اليونان وعلى رأسهم "**أرسطو وأفلاطون**". ويرتبط ويتداخل الحجاج في تراثنا العربي بمصطلحات عديدة اعتبرت كمرادفات له كالجدل والخطابة لأن كل منهما يتضمن آليات ووسائل تفضي إلى الإقناع.

*الحجاج نظرية حديثة تستخدم في تحليل الخطاب والبحث عن وسائل الإقناع فيه فهي استراتيجية في قراءة النصوص قراءة لغوية حجاجية، من أبرز روادها "**بيرلمان**" الذي يطلق عليها مصطلح (البلاغة الجديدة) إلى جانب "**تيتكا**"...، وتتضمن هذه النظرية مجموعة من الآليات والأسس التي تساعد في تحليل الخطاب وفهمه حجاجيا.

– ومن خلال دراستنا لنماذج من خطب صدر الإسلام اتضح لنا مايلي:

*تعددت الآليات والإستراتيجيات الحجاجية في خطب هذا العصر، والتي أعطت للنص الخطابي طاقة إقناعية في سبيل الوصول إلى التأثير في الآخر وبالتالي إقامة الحجة.

*اعتماد الخطيب في سبيل استمالة المتلقي على التدرج في عرض أطروحاته مرتبا إياها تصاعديا في سلم حجاجي فبنيت بدرجات متفاوتة تتراوح بين الضعف والقوة من أجل الوصول إلى النتيجة المرجوة.

*كما تضمن النص الخطابي روابط حجاجية عملت على ربط الحجج وانسجامها فجاءت متناسقة منسجمة ومتسلسلة (كالفاء و الواو...) حيث أثرت هذه الروابط في توجيه الخطاب وجهة حجاجية.

* وكان للعوامل الحجاجية الموظفة (كأسلوب القصر والإستفهام والتكرار والنفي...) دور في توكيد الكلام وتأكيد الحجة وبالتالي ساعدت المتلقي في تحديد دلالة المراد من كلام الخطيب ليصل إلى التأثير والإقناع.

ملاحق

1-خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

« الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته! و أستفتح بالذي هو خير. أما بعد، أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا، أيها الناس، إن دماءكم و أموالكم

و أعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم و قد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، إن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وقضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عمي العباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع إن أول دمائكم أضع دم عامر ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود*، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ما حرم الله. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[1]

و إن عدة الشهور عند الله اثنتا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب* مضر الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم و لا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن

[1]- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة(العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام)، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده، مصر، ط1، 1923، ج1، ص (57-58).

*القود: القصاص أي من قتل عمدا يقتل.

انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان* لا يملكن لأنفسهن شيئا

وإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي، أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ ، اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت؟ ، اللهم اشهد. أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش و للعاهر الحجر، من أدعى لغير أبيه، أو تولى غير موالية، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله. »[1]

[1]– المصدر السابق ، ص (58–59).

*أي تأخير حرمة شهر لآخر، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه، وحرموا مكانه شهر آخر، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها.

*جمع عانية من عنا، أي خضع وذل، والعاني: الأسير.

2- خطبة ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، و أحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، و أمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، و قدمنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى:« **والسابقون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان**». فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار وشركاؤنا في الفيء* وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء، و أنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا* على إخوانكم ما منحهم الله من فضله».[1]

[1]-المصدر السابق، ص 63 .

*الفيء: الغنيمة والخراج.

*نفس عليه بخير (كفرح) حسده، ونفس عليه الشيء، نفاسة لم يره أهلا له.

3- خطبة أخرى للصديق رضي الله عنه بعد البيعة:

وقال الطبري: نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليتم بعث أسامة: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« يأيها الناس، إنما أنا مثلكم، و إني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق. إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما متبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض

وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة* ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطانا يعتريني

فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم و أبشاركم*، ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عليكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا

ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد

والوحا الوحا*، والنجاء النجاء*، فإن وراءكم طالبا حثيثا، أجلا مره سريع، احذروا الموت

واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا* الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.»[1]

---

[1]- المصدر السابق، ص (67-68).

*الظلامة.

*أبشار جمع بشر، وهو جمع بشرة ، وهو ظاهر الجلد.

*العجلة والإسراع، وحى وتوحى: أسرع، ووحاه: عجله.

*الإسراع أيضا.

*غبطة: تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر:

1- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي عصر صدر الإسلام)، مكتبة ومطبعة الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1923، ج1.

ب- المراجع باللغة العربية :

2- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان،ج3.

3- أبو الوليد الباجي: المخارج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1987.

4- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 2004.

5- أبي هلال العسكري: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، ج1، 2004.

6- أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة، دار النهضة، مصر، د-ط، 2001.

7- أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تح: (سهيل زكار ورياض زركلي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

8- أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002.

9- الآلوسي: حاشية شرح القطر في علم النحو، تح: فؤاد ناصر، مكتبة الصباح، لبنان ط2، 2001.

10-الجاحظ: البيان والتبين، وضع حواشيه، موقف شهاب الدين، منشورات محمد على بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م1، ط1، 1998، ج1.

11- حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ج1.

12- حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العلمية لمكتبة الإسكندرية، مصر، د-ط.

13- حمو التقاري: التحاجج ، طبيعته ،مجالاته ،وظائفه وضوابطه ،النجاح الجديد ،الدار البيضاء ط1 ،2006.

14- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة التأصيل في الدرس العربي القديم بيت الحكمة الجزائر، ط1، 2001.

15- الشريف الجرجاني: التعريفات، تح:محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس بيروت لبنان، ط1، 2003.

16- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، ط1، 1998.

17- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب تونس، ط1، 1981.

18- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه: محمد عبده و رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

19- عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي (خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي)، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2013.

20- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون، تونس، ط2، 2007

21- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

22- علي الطنطاوي: أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع (جدة)، ط3، 1986.

23- علي محمد سلمان: كتابة الجاحظ في ضوء نظرية الحجاج، المؤسسة العربية بيروت لبنان، ط1، 2010

24- العياشي أدراوي ، الإستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها) دار الآمان، منشورات الإختلاف، ط1 2011.

25- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن ، 2012.

26- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002.

27- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.

28- محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010.

29- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

30- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، .2005.

31- مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط2، 1987.

32- نعمان بوقرة :المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب ،جدارا للكتاب العالمي عمان ،الأردن ،2009 .

ج- المراجع المترجمة:

33- آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم(علم جديد في التواصل) ، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

34- جورج مولينيه: الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2006م.

35- جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، منشورات إتحاد الكتاب العرب،، دمشق، 1998.

36- فليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال عبد الواحد التهامي العلمي مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2013.

37- فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007.

د- المعاجم:

38- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، م1، ط3، 1994.

39- ابو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ، دار الجيل، بيروت، م 2، ط1 1991.

40- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1.

هـ- المقالات و المجلات:

41- باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

42- حبيب أعراب: الحجاج والإستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، (مقال) مجلة عالم الفكر، الكويت، مج30، ع1، 30 ديسمبر 2001.

43- حمدي منصور جودي، استراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ الإبراهيمي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع5، جوان 2009.

44- ربيعة عربي: بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، مقالة، موقع التمدن، ع 4046، 29/ 03/ 2013.

45- محمد العيد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف،ع 60، فريق 2002.

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الحجاج مفاهيم وأصول وتقنيات	
تمهيد:	5
1- تعريف التداولية	5
1-1-لغة	5
1-2- اصطلاحا	6
2- التداولية في الفكر العربي القديم	7
3- أهم مباحث الدرس التداولي	9
3-1- نظرية أفعال الكلام	9
3-2- نظرية التلفظ	11
3-3- الإفتراض المسبق	11
3-4- الإستلزام الحواري	12
تمهيد:	13
1- تعريف الحجاج	13
أ- لغة	13
ب- اصطلاحا	14
2- الحجاج بين الجدل والخطابة	15
2-1- الحجاج والجدل	15
2-2- الحجاج والخطابة	18
3- الحجاج في الفكر الغربي والعربي القديم	20
3-1- في الفكر الغربي	20
3-2- في الفكر العربي	21
4- الحجاج في الفكر الغربي والعربي الحديث	22
4-1- في الفكر الغربي	22
4-2- في الفكر العربي الحديث و المعاصر	23
5- أسس نظرية الحجاج	24
5-1- السلالم الحجاجية	24
5-2- الروابط الحجاجية	27
5-3- العوامل الحجاجية	28
5-4- الحجة والنتيجة	28
الفصل الثاني: استراتيجيات الحجاج في نماذج من خطب صدر الإسلام	
تمهيد:	31
1- خطبة الوداع **للرسول صلى الله عليه وسلم**	31
1-1- السلالم الحجاجية	31
1-2- الروابط الحجاجية	35
1-2-1- حرف العطف: (الواو، الفاء)	35

1-2-2- الرابط (إن)	36
1-3- العوامل الحجاجية	37
1-3-1- الحجاج بالإستفهام	37
1-3-2- الحجاج بالتكرار	37
2- خطبة **أبو بكر الصديق رضي الله عنه** يوم السقيفة	39
2-1- السلالم الحجاجية	39
2-2- الروابط الحجاجية	43
2-2-1- الرابط الحجاجي(الواو)	43
2-2-2- الرابط (الفاء)	44
2-3- العوامل الحجاجية	44
2-3-1- الحجاج بالقصر	44
2-3-2- أسلوب التوكيد	45
3- خطبة أخرى **للصديق رضي الله** عنه بعد البيعة	46
3-1- السلالم الحجاجية	46
3-2- الروابط الحجاجية	50
3-2-1- الرابط (الواو)	50
3-2-2- الرابط (الفاء)	51
3-3- العوامل الحجاجية	51
3-3-1- الحجاج بالقصر	51
3-3-1- الحجاج بالتوكيد	52
3-3-3- الحجاج بالنفي	53
خاتمة	55
ملاحق	58
قائمة المصادر والمراجع	63
فهرس الموضوعات	69